

(Hob.-Job. - « Sappan Wood » ; « Brazil Wood »

وشيح =

- انظر ما سبق -

اليسارة = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها

المطرقانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة اشهر

تباعا » (أبو زيد السيرافي في سلسنة

التواريخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان

يسر بأرض الهند أي شتا هنالك (السعودى :

مروج الذهب 1 / 327) - أصل الكلمة

بالهندية « varsha » .

الهيل أو الهمال ، هي بالسنسكريتية « ايل »
وبالفارسية « هيل » وكان معدنه رأس هيلي /
ايلى على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره
الجغرافيون العرب وابن بطوطة الرحلة 81/4 .

ورس (= اليم / الصرف) - شاعت كلمة
« الورس » وانتقلت من العربية الى اللغات
الاوربية في العصور الوسطى بالإيطالية « verzi »
حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس،
سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك
لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

الرموز

سنس = اللغة السنسكريتية

ف = اللغة الفارسية

♦ = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- 1 - الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، صنيف زكريا بن محمد بن محمود القزويني .
E. Wustefeld, Göttingen, 1848
- 2 - الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م
- 3 - الادريسي = نزهة المشتاق للشرىف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 .
- 4 - ادى شير : الالفاظ الفارسية المعربة .
- 5 - بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .
- 6 - ابن بطوطة = الرحلة له ، طبعة باريس .
- 7 - بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناخذاه الرام هرمزي ،
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.
- 8 - البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .
- 9 - البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو
- 10 - الجواليقي = المغرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .
- 11 - سلسلة التواريخ (سليمان التاجر وابو زيد السيرافي) ، باريس 1811 م
- 12 - سليمان ندوي : (عرب وهندكي تعليقات ، اله آباد ، 1930 م .
- 13 - شفاء الفليل للخفاجي .
- 14 - سواء السبيل فى المغرب والدخيل ، تأليف توما آرنلد وقاضي ظفر الدين احمد ، مطبع رفاه
عام 1903 م .
- 15 - ظفر الواله بمظفر وآله للحاج دبير ، طبعة السير دنيس روس .
- 16 - ابو الغداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1830 م .
- 17 - لف القمط = لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المغرب والدخيل والاغلاط،
لابي الطيب الصديق بن حسن القنوجي ، بهوبال ، 1296 هـ .
- 18 - المروج = مروج الذهب للمسعودي ، طبعة باريس .
- 19 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشيخ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي
طالب الانصاري الصوفي الدمشقي ، بطرسبورغ ، 1865 م .
- 20 - ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .
- 21 - ياقوت : معجم البلدان .

المراجع الانجليزية

- (1) Bibil. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoeje, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill. St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Seapower in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

للبنافاة والطفافة التسلل عبر الحدود والالتجاء بملسك السنځ ، مما زاد فى اهتمام العرب بجارتهم ، وفى الوقت الذى كانت الممالك الشرقيفة للءولة الأموية قء استمكلت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معا بعد أن انتظمت أمورها وسلسلت صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذى البأس الشءىء الحجاج ابن يوسف الثقفى ، فى ذلك الوقت سببت الصلفة التجارية بصورة مألوفة فى التاريخ القءىم والحءىث على السواء ، التءءل السياسى والعسكرى من جانب العرب ، وذلك بأن بعض القراصنة استولوا بالقرب من دىبل على مركب كان ىنقل الى العراق عءا من الأرامل والبئامى لبعض التجار العرب الذين وافتهم آجالهم فى جزيرة سيلان ثم اعتر ذاهر ملك السنځ بعجزه عن تنفيذ طلب الحجاج بمعاقبفة المجرىمىن وتسليم الأسرى ، فلم يكن منه هو الآخر الا أن نءب ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفى لغزو السنځ نهائىا (3) .

ءءل محمد بن القاسم السنځ فى سنة 89 هـ ووفق فى انجاز مهمته توفىقا تاما ، فإنه تمكن فى بحر خمسة اعوام من القضاء على مملكة ذاهر وفتحها للمسلمىن من منابع نهر جهىلم بكشمىر فى الشمال الى البحر فى الجنوب ، الى حدود مملكة قئوج (كئوج) بالقرب من ملتان وحدود كجرات فى الشرق ومنذ ذلك الحىن ظل اءلیم السنځ جزءا من الءولة الأموية ، تعاقب على حكمه عءء من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسىع نطاقه فى الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقوا فى ذلك كبرى نجاج ، ولكنهم على كل حال بقوا اقرباء قاءرىن على اخماء الثورات مالكىن لازمة الأمور فى الءاىل .

وهكذا اصبىحت للعرب علاقات سياسية وطیفة مع الهند بعد أن كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فبما قبل الاسلام ، وكان من المءتوم على هذه القاعدة الجءىفة للعرب ءاىل اراضى الهند أن تصبىح مبءا

من المءروف أنه لم يكن هناك اسم واحد ىطلق على الشبه قارة الهندو — الباكستانية بأكملها بل كانت الاقالىم المءتلفة تعرف بأسمائها كل على حءة وربما شمل اسم العاصفة جمىع المناطق البواقفة تحسب سلطتها أو نفوذها . وكان نهر « السنځ » الذى ىذكره العرب القءماء باسم « مهران » — مءروفا باسمه الحالى الى أن امءء الىه نفوذ اهل فارس فى العصر القءىم فسموه « هندهو » جربا على عاءتهم فى اءبال السىن فى السنسكرتية بالهاء ، ولذلك امثلة كئىرة فى اللغة الفارسية القءىمة . ثم جاء العرب فاقروا اسم « السنځ » للأراضى البواقفة على ضفتى ذلك النهر ، وبءاوا ىطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قء عرفوا الهند قبل الاسلام وأحبوها الى حد أنهم اءخذوا منها اسما لنسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها وأجارها وسىوفها وثمارها ولما كانت تجارتهم عن طرىق البحر كان من الطبعى أن ىقتصر اءصالهم على الشواطىء والسواحل ، ولاسىما الساحل الغربى والجنوبى ، لا ءدل على ذلك من اسماء فى العربية هى فى الأصل اسماء للأمكنة التى كانت تستورد منها مسمىياتها، مثل المنءل والهىل(2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المءرفة والصلة التجارية من أهم ما وجه المسلمىن من عرب عمان والمناطق الساحلىة المءاورة لها الى شن القارات البحرية بقیة تأسىس ءعائم حكمهم على مواءع من ساحل السنځ وكجرات ، تهانة (تانه) بالقرب من بومباى وبهروج (بروص) وءىبل بالقرب من كرائشى ، وكان ذلك فى عهد الخلیفة الثانى عمر بن الخطاب الذى كان شءىء الحذر من « من حمل الءوء على العوء » ثم تكررت مءاولة من هذا القبىل فى عهد عثمان أيضا ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات اثر ىذكر ، ومضى العرب فى هذه الاثناء قءما من نصر الى نصر حتى تم لهم فتح بلاد فارس كلها وصارت حدود ءولتهم الشرقىة قئاخسـم حدود مملكة السنځ الغربىة مباشرة بحيث تسنىسى

(1) الءكتور السىء سلیمان الءءوى : عرب وهنءكى تعلقات ص 12 .

(2) على الترتىب ، العوء المسءورد من « كورومءل » كان العرب ىطلقون عليها « المءبر » أيضا وفوه « هال » أو « هىل » (بالعامىة : حب هان) المسءورد من (رأس) هىلى أو « ابلى » بجنوب الهند

بالقرب من كورومءل ، كانت میناء ومءىنة عامرة اىام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرءلة 81/4 .
(3) الفتوح للبلأزرى 431 — 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ، ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انها نمت وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددده في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفتا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثر احتكاكهما بالعرب حتى اننا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذي ، باب الأمثال) مما يدل على أنهم كانوا معروفين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح فارس على أيدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الاسلام : استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة أموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب الى العاصمة (x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية

كبيرة ، كما أن أولئك الدخلاء اقبلوا على الأخذ بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السند أن بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى أنه ذكر أن أحدا منهم (ابن زياد بن أبي كبشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال ابن معشر نجيب بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8) ؛ ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال أبي عطاء السندي وأبي الأصم (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين و ثلاثة على فتح السند ، وقد استغنيت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك أن الارتقاء وغيرهم من عامة أهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالمجاز والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما اشرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الأذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية انما كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين الخاصة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الأحوال الداخلية

4) يرجح أن الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر أن جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب أما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فتلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالى لاثبات اصلتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

6) انظر قول ابي النجم العجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

7) ابن الأثير 217/5 .

8) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواطدي بالمدينة .

9) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

10) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرا على دمشق فأخرب سورها في فتنة ابي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

11) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وأبو الأصم الهندي له ذكر في المرزباني 513 (« ابو الضلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

12) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ اولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية ألوهن والاختلال والفتن اعتبها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم الخراساني بعض العناء في أخضاع منصور بن جمهور الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيرا في ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بتقلب العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الأمور تنتظم في العهد الجديد حتى نرى وفدا من أهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله في وقت غير ملائم .

ثم استمرت الأحوال تنهياً لجلب العلوم من الخارج في عهد المنصور مما حفز أهل العلم في السند الى عرض ما لديهم ، فوصل احد منهم كان متضلعا في علم الهيئة والرياضيات ، الى بغداد في سنة 154 هـ ، فنتقدم الى الخليفة بكتاب «سدهانت» (السند هند x) الذي قام ابراهيم الفزاري بترجمته الى العربية (13) واطلاع العرب على «سدهانت» يعد نقطة هامة لا من حيث كونه بداية حسنة للتبادل العلمي بين الهند والعرب فحسب ، بل من حيث الآثار المترتبة على ذلك ايضا ، فانه وان يعلم بالضبط متى تعلم العرب «الأرقام الهندية» فالظنون أنهم تعلموها عن طريق ترجمة «سدهانت» الذي يحتوي اليابان الثالث عشر والرابع والعشرون منه على بسط وبيان لتلك الأرقام (14) . على كل حال نال «سدهانت» من اقبال العرب وتقديرهم ما كان سببا لرفع صيت الهند الى درجة عالية ، آية ذلك أنهم قاموا في مدة قصيرة بترجمة كتابين آخرين في علم الهيئة هما «ارجيهذ» (الأصل : آرية بهت) و«أركند» (الأصل كهنند اكهنديك Khanda-Khadyaka) نقل الاول أبو الحسن الأهوازي والثاني يعقوب بن طارق في سنة 161 هـ (15) .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

x قال البحتري (د الجواب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبيه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الأرقام مغروفة عند العرب بس «الأرقام الهندية» وعند الأفرنج بس «الأرقام العربية» [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني عرب الأندلس وربما سماها عرب الأندلس «حساب القبار» لأن الهنود كانوا يرسمونها على التراب أو الرمل بدل اللوحة أو السبورة لتعليم الأولاد كما يشاهد ذلك في بعض أرياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الآداب 90/2)

(15) هاك الالفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : «كردجه» (الوتر المستوي) اصلها بالسنسكريتية «كرمجيا» ، «جيب» اصلها «جيو» ، «أوج» اصلها «أوج» بالجيم الفارسية ، «أرين» من «أجين» اسم لبلدة في وسط الهند ، «ادماسه» اصلها «ادهماسا» .

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين اخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده ويقسي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نتفقد عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين واصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بان الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وايدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » اسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بانه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : « برمك ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

وهذه الرواية مختلفة بدليل ان المؤرخين مجمعون على ان « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لمكان والنسبة اليه « برمكي » . واتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لان معبد بلخ كان قد انشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وان « برمكة » اما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق مؤرخ « البرامكة » (باللغة الأردوية) الى ان اصل « برمك » هو « برمخ » - « بر » يعني « كبير » و « مخ » [magos باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار - وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الغين » « بالكاف » في التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبداً للمجوس يعبدون فيه النار او معبداً للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بايدينا وصفا مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهناك ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الاصنام وزينوه بالدباج والحريسر وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدى له وتلبسه انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

(16) ابن أبي أصيبعة 33/2 .

(17) كتاب البلدان ص 323 « فسما سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولى منهم السادنة برمكا .

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقته بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تديسن بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك .

هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما أورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن أزرق الكرمانى كما فعله ياقوت هو الأول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقرطوبى 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف :

أولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على ان معبد بلخ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الأوثان والأصنام التي كان من بينها « الصنم الأكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمداني وياقوت (وستقل هذه القطعة فيما بعد) أنه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Budhism) .

رابعا : ان (« الأستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرمة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مسقط رأسي مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الأستن » اي العامود بالفارسية فحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك أدلة أخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(ا) ان بلخ جزء من إقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنية اي البوذية ، كان أكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض أهل الرواية والتنقيب أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » . اما « بوذاسف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل أصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان أصل « هندو » هو « اندو » اي القمر (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر ») .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك في ان النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان أصل النوبهار هو « نووهار » وهار اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتناه حوله ولا

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتھالد (Barthold) دائرة المعارف الاسلامية) (Barmakids) كما ان الاول هو الذي بحث عن الاصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجها الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهندي تعلقات 102 - 124 ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خراسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك ابي برمك ابي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما أتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباءه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضل من غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا أرجع الى دين بادي العوار متهنك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استنجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يغتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك ابي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فنشاعوا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فاجلسوه في موضع ابيه فتولى امر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيسان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنات اخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا أعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طامتا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك بأول ريحان يطلع في ذلك الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمى نوبهار لذلك « (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد البوذيين من قبيل وهار ، وهاك مما اورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة ، وكانت تدور ، والبد نميما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم او اسنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بان الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخطبون خبط عشواء في تفسير « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت ترميش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام « (ياقوت) اما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بان تكون « برمك » مشتقة من « برمكين » ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » اصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سدنة بيوت النار او معابد الجوس ، بل انما اختص به رؤساء النوبهار لاسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

هذا وقد جاء في النويري (نهاية الأرب 12/29)
عن محمد بن العباس المسكي عن الأسباب التي
حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى
الصواب فإنه يقول : « لما قلت الأموال في أيديهم
(الأمويين) شرعوا في مصادرات الرعايا وأخذوا
الأموال من غير وجوهها وتعرضوا إلى أموال الأوتاف
والإيتام فتعرض ولاية خراسان لبرمك ولولده وطالبوهما
بالأموال وكان تحت يد برمك أوتاف جلييلة فهرب هو
ولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند فأتاها بها
إلى أن ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن
برمك وأخوه الحسين وأهلها على المنصور ، أبى
جعفر لما أفضت الخلافة إليه فاصطنعهم وادناهم
وتربهم الخ (نفس الرواية في صبح الأعشى 2/126)

أولا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا هربت أم أبي
خالد إلى بلاد قشمير ؟ لأن أصل البرامكة كان من
الهند لا من إيران ولا يخفى أن قشمير كانت مركزا
من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك
نشأ برمك أبو خالد على دين آباءه . لاشك أن الفرس
ادعوا انتماء البرامكة إلى جاماسب وزير كستاسب
ليثبتوا أنها أسرة إيرانية عريقة في الوزارة ، كما أن
العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة إلى أنفسهم بدعوى
أن أم خالد جليته من عبد الله أخي قتيبة لكنها دعاوا
بقيت موضع الشك إلى أيامنا هذه . أما الماع الشعراء
إلى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل
جدا عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين
المجوس والبوذيين ولاطلاتهم « المجوس » على المعجم
كلهم . وأخيرا لا ننسى أنه كان في مصلحة البرامكة
التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

إن يتضح لنا كل الموضوع تلك الظاهرة القوية
التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب
الهندية إلى بغداد ، وهي عناية البرامكة القائمة بهذا
الموضوع ، فإنا نراهم يستخدمون جميع الوسائل
الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون
كانهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . أنظر
اليهم يستقدمون ابن دهن فيمهدون إليه بإدارة
المستشفى المعروف باسمهم والإشراف على ترجمة

الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم أنظر
إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة
ابن عمه إبراهيم بن صالح (21) ويمنح أبان الشاعر
جائزة قدرها مائة ألف درهم على نظمه قصة كليلة
ودمنة (22) أما تصب السبق في هذا الميدان فكان
ليحيى بن خالد - حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد
قشمير وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة »
فإنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة
ومنكة وبازيكر قنبرقل وسندباد الذين أتوا ببغداد ،
وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين
عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ،
ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد
إطلاقا هو إرساله رجلا في بعثة علمية إلى الهند
« ليأتيه بمقايير موجودة في بلادهم وأن يكتب له
أديانهم » (الفهرست 345) فإن التقرير الذي وضعه
هذا البعوث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب
والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين
إلى ظهور ذلك النايف المحقق أبي ریحان البيروني .
وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير
مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
وأربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة أخرى
بخط يعقوب بن إسحق الكندي ، أورد منه ابن النديم
مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وقرق الهنود
(الفهرست 345 - 349) ونجد بمقارنة بعض أجزاء
هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ
(9/4 إلى 19) أن مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ،
ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم إن بيان مطهر
ابن طاهر المقدسي كأنه جزء مما جاء (مترجما
بالفارسية) في كتاب زين الأخبار لكرديزي في هذا
الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب
التواريخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير
بني سامان (أوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب
البروفسور مينورسكي إلى أن الجيهاني ربما اعتمد
بدوره على كتاب المسالك الكبير (أصل المختصر
الذي نشره دي غويه) لابن خرداذبه . هذا وقد
عثر أخيرا على مقطوعتين في كتاب أخبار الزمان
المنسوب إلى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

(21) ابن أبي أصيبعة 34/2 .

(22) الجهشياري 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الإسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

(24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond

on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانها اصل الترجمة الواردة في كرديزي (البندان 41 و 42) .

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « انها الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) اما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تفكرنا انها استمرت فيما بعد الى ان بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنا الى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقية (الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

أبحاث عامة

- تاريخهم من لغتهم — أطلنطة —
● للاستاذ عبد الحق فاضل
- ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي
● للدكتور محمود عبد المولى
- ابن الحاجب المصري واثره في الدراسات اللغوية
● للدكتور عبد العال سالم مكرم
- علم الحركة في الفلسفة العربية
● للدكتور جلال شوقي
- الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية
● للدكتور احمد محمد الحوفي
- النظامة الالكترونية تحمي جذور مفردات اللغة العربية
● للدكتور ابراهيم أنيس
- سمات ومشابه عربية في ادب الكاتب الايطالي جوفاني فيرغا
● للدكتور عيسى الناعوري
- لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني
● للاستاذ سعيد الديوه جي
- دليل جديد على عروية الارتام المستعملة في المغرب العربي
● لأبوفارس
- الاستعراب في ليننغراد
● للاستاذ فيكتور بيلاييف
- الاستشراق في رومانيا
● للوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى
- للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- صور ... لشاعر العروبة عزيز اباطة باشا
- الوديمة — الى مجلة « اللسان العربي »
● للاستاذ يوسف الغريب



تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبدالحق فاخيل

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذي اغرق البشرية ، كالذي جاء فى ملحمة
قلقميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمننا هنا ، فى
هذا الحديث القريب موضوعا والعجيب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الاله مياه العالم
السفلي التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلي الشربير على قاع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول
احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاح
السدود يفرق القرى والزرورع كما شهدنا مرارا فى
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الاخيرة التى الجمت واسرجت دجلة والفرات ايام

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
ليندرا بين يديه فى السهول والجبال
واقطلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانها ماء العالم السفلي)
وجاء بعده « نرتسا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكمل
احتدمت
حتى طفى هبوبها العاتي فغطى الاجيلا
فتتك فتكا بالنفوسى
هوجاء كالحرب الضروسي !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..

... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان وليمي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles) بالاعريقية و (Hercules) باللاتينية . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية .

واذا لاحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيقي كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لترك المسألة الرابعة الان، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis او Atlantica) - قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذي رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة العروف عنها ان كهنة مضربين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مآثر اثينة قاطبة هو دجرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويروى امتدادها على مجموع ليبيا وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنيا (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذية على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فذاعت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم ففاز كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضاحض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقيننا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الان » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

« المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها « يربو على مجموع ليبيا وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - فى البحر المتوسط طبعاً - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالنظر الاثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا ياتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضاً يابسة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى أقصى الغرب منهما كالجسر ، أو بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فأغرق ارضاً شاسعة هي التي تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتحت القارتان اللتان كانتا رتقاً .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التي تحجز المياه ويحكمها الاله ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الائمة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها .

ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتايين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنشقة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التي وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف اولئك الاطلنطيين المرفقين هم الباسكيون أو قدامى الايطاليين أو غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المناهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا واعمدة ذلك . وقد جرنا الطوفان الذى احده قلع اعمدة ايراقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة او القارة التي اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقتنا بدورها فى بحر من الغموض والتناقضات . فقد سلف انها تقع فى

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » وتترجح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .